النشاط الثقافي في الوطن العربي

لبنان

هذا التلفزيون ...

***

يستطيع المراقب الموضوعي الذي يتابع برامج القناتين ٧ و ٩ في التلفزيون اللبناني وتلفزيون لبنان والمشرق ان يقرر بكل اطمئنان وصراحة بان هاتين الشركتين الخاصتين اعجز جدا من ان تقوما برسالة التلفزيون الحقيقية بالنسبة لتوعية الجماهير وتثقيفها .

فالبرامج التي تقدمها الفناتان ليست هي حتى ترفيهية ، واذا طمحت الى شيء من هذا ، كانت تهريجية مبتذلة بدائية . ونكاد لا نجد برنامجا واحدا نستثنيه من هذا الحكم . ولعل اضعف البرامج هي التمثيليات التي تقدمها فرق محترفة ، وقد تكون فيها احيانا نزعات اخلاقية ، ولكنها مصوغة دائما بصيغة من التقريرية والوعظ والمباشرة تفسد فيها كل جانب فني ولا تجد لدى الجمهور الا نفورا واشمئزازا . ذلك ان الذين يؤلفون هذه التمثيليات لا يملكون غالبا المقومات الفنية ولا الموهبة الدراماتيكية ، وانما هم يصطادون موضوعاتهم من هنا وهناك ، ولا سيما من المسرحيات الاجنبية بعد ان يعملوا فيها تشويها وحذفا .

ومن الملاحظ ان المثقف لا يكاد يحضر اي برنامج من برامج التلفزيون عندنا ، لانه لا يشعر بحاجة الى اي من هذه البرامج لسد نقص في ثقافته او حتى لجلب بعض الترفيه اليه .

وكثير من البرامج التلفزيونية قاصرة عندنا على الافلام الاجنبية التي تتناول موضوعاتها الاحداث البوليسية او المغامرات في البحار والادغال . ولا ندري ما عسى يجد المشاهد في هذه الافلام مما يغذي خياله او ينمي حواسه او يثقفه . ان فيها دون ريب دغدغة لغرائزه الدنيا وميوله اللابشرية .

ذلك ان هاتين الشركتين الخاصتين لا تملكان توجيها محددا ولا تخطيطا مرسوما في برامجهما ، استغفر الله ، باستثناء التوجيه المشبوه في الاخبار والتعليقات السياسية . ومن الواضح ان احداهما تبث الدعاية الفرنسية ، والاخرى الدعاية الانكلو اميركية . وهما فيما عدا ذلك لا تهتمان الا بالاعلان ، بحيث يصاب المشاهد اخر الامر بالغثيان من كثرة الاعلانات وسخف الشكل الذي تعرض به غالبا . ولا يغيب عن ملاحظة احد ان جميع البرامج تقريبا مقودة بالاعلان ونتيجة له . ولما كان المعلن بحاجة الى اكبر عدد ممكن من المشاهدين ، فهو يتبع البرنامج الاشد تشويقا . والواضح ان البرنامج الاشد تشويقا غالبا ما يكون بعيدا عن النزعة الفنية والروح التوجيهية الرفيعة .

ان التلفزيون هو اليوم اخطر وسيلة من وسائل الاعلام والارشاد . ومن المؤسف جدا ان يتخذ في لبنان للتجارة وحدها ، وان تتخلى الدولة ، بحجة المحافظة على حرية الاستثمار ، عن مسؤوليتها في هذا الميدان .

اننا نطالب بان تشرف الدولة في لبنان على التلفزيون في اقرب فرصة .

الجزائر

الادب الجزائري المكتوب بالفرنسية

لمحات حول واقعه ومستقبله

بقلم الجنيدي خليفة

***

قد يغري الاكبار الذي حظي به الشعب الجزائري في ثورته المسلحة والتقدير الذي تستقبل به اليوم خطواته في ثورته الاشتراكية — قد يغري ذلك بالاعتقاد في وجود دواع مماثلة للاكبار والتقدير في ميدان اخر ايضا هو ميدان الادب . ويبدو ان مصدر هذا الاغراء لا يعود فقط الى ما كان قد انتجه بالفعل الكتاب الجزائريون المحدثون بل وايضا الى نزعة مقارنة قد يؤدي بها الحماس الى التماس تواز بين مختلف الانطلاقات الانسانية .

والحق انه وان كان من الممكن نظريا اعتبار النشاط الانساني واحدا في طاقته ، الا انه سرعان ما يتبدى ، حين تجليه في الواقع ، خاضعا لكثير من المؤثرات التي تشكل له كيانات متمايزة ، ومن ثم فاننا حين نوحد بين الشروط التي تخضع لها ظاهرة اقتصادية مثلا واخرى ادبية انما نكون قد الغينا معالم وحدودا قد اصبحت بعد قائمة بمجرد ان « تحولت » من الحماس . او الطاقة — الى الواقع ..

ومعنى هذا ان نجاح شعب في احدى انطلاقاته لا يفترض من الحتمي ان يكون له نجاح مماثل في القطاع الادبي وفي نفس الفترة ، ولا سيما اذا كان هذا الشعب في بداية مرحلة جديدة من تاريخه ...

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فليس يقلل من اهمية ثورة مسلحة او ثورة اقتصادية ان يلاحظ انها بطبيعتها تتصف بفاعلية اعلان عن نجاحها ووجودها لا تتفق للادب ، فليس لهذا وجود الا بفضل مشترك بين الكاتب والقارىء ، جهد يبذله كلاهما معا قبل ان تخلق الحروف السوداء ، وقبل ان تتحول الى بناء نفسي . وليس الامر كذلك فيما عدا الانتاج الثقافي ، اعني في الوسيلة التي يتخذها للاعلان عن نفسه ، اذ ان هذا الاعلان نفسه هو وجوده ، وما ان يوجد حتى يعلن عن نفسه ..

فما هو واقع الادب الجزائري من خلال هذه النظرة ؟

من البديهي ان يلاحظ اولا وقبل كل شيء ان الادب في الجزائر خلافا لسائر البلاد العربية يتصور في نوعين متمايزين من حيث اداة التعبير : ادب مكتوب بالفرنسية وادب بالعربية . ولقد ادى الالتفات الى هذا التقسيم الى مناقشات عديدة في اوساط المثقفين الجزائريين وخاصة بعد الاستقلال عندما ووجه الوضع اللغوي مواجهة جديدة

مباشرة . وكانت هذه المناقشات غالبا ما تنتهي الى اراء متباينة. فبعضها قد انكر ان يكون ادب الجزائريين المكتوب بالفرنسية ادبا جزائريا نظرا الى لغته الاجنبية واراء اخرى انكرت ان يكون هناك اي ادب جزائري غير هذا النوع ...

ويبدو ان مناقشة الادب الجزائري المكتوب بالفرنسية بهذه النزعة من المناقشة امر قليل الاهمية ، فان يكون جزائريا فهذا لن يحول لغته الاجنبية الى لغة عربية . وبالمثل فان كونه مكتوبا بالفرنسية لا يكفي لتجريده من الجنسية الجزائرية ، وذلك اعتبارا للظروف المعروفة التي حرمت الشعب من لسانه القومي وفرضت بدله لغة الغازين ، واعتبارا كذلك للطابع الجزائري الذي يعبر عنه غالب هذا النوع من الادب . فهناك اذن ادب جزائري ولكنه مكتوب بالفرنسية . واذا كانت هذه الصيغة لا تحوز رضا هواة «منطق الواسطة» فانها على كل ال اقرب الى ان تلفت اذهانهم الى اتجاه للمناقشة افيد واهم .

وبالفعل فقد اخذ بعض المهتمين بالادب يبحثون الطريقة التي يتم بها الاتصال بين ادباء الفرنسية والعربية من الجزائريين وتبادل التجاوب بينهم والتعاون في دراسة القضايا الثقافية المشتركة ، وان كان ذلك لم يأخذ حتى الان غير صبغة فردية .. .

لكن اذا لم يكن هناك احد ينكر وجود ادباء جزائريين يكتبون بالفرنسية ، واذا كان القراء في العالم العربي يعرفون بفضل الترجمة عدة كتب لهؤلاء ـ وهم متفقون وليسوا مثلنا كما اظن ـ على الاعتراف لها بالجنسية الوطنية رغم لغتها الاجنبية ـ فان هذا لا يمنع من اثارة السؤال التالي : هل استمر هؤلاء الكتاب ينتجون ؟ اني اكتب هذه الكلمة وانا انتظر حلول موعد مع الاديبة « اسيا جبار » ، لذلك فاني اؤثر ان يكون الجواب منها ، ولكني في انتظار ذلك الاحظ ان الفترة بعد الاستقلال لم تكد تعرف شيئا جديدا لكتابنا هؤلاء باستثناء ما انتجته اسيا جبار نفسها واهمه قصتها : «اطفال العالم الجديد» بل ان كثيرا من الانتاج الجزائري المكتوب بالفرنسية قد الف قبل الثورة وان نشر بعض منه اثناءها ...

واذا كنا لا نحكم الا على اساس الواقع ، اي اذا كنا نجهل ما اذا كانت دور النشر ستعود فتطبع انتاجا جديدا في المستقبل القريب او البعيد ، حق لنا ان نتساءل عما اذا كان هذا الادب الجزائري الروح ، الفرنسي اللغة ، قد قال كلمته وانهى رسالته .

والواقع ان هذا الاستنتاج هو ما يصرح به احد الادباء الكبار ذوي اللسان الفرنسي : مالك حداد ، ولم يكن في ذلك مستندا الى انقطاع دور النشر او ضآلة ما صارت تطبعه من انتاج زملائه ولكن الى ما يعتقده من ان هؤلاء الادباء الجزائريين انما كانوا يتخذون من الادب سلاحا لمناصرة الكفاح التحريري فاستراحوا عندما تم الانتصار .

ولا احسب ان هذه الفكرة تستقيم مع نفسها طالما ان الكفاح وان تغير موضوعه فان ضرورة مواصلته قائمة ، واقرب الى القبول فكرته الاخرى التي بناها على اساس مستقبل اللغة العربية الذي سيجتاح الفرنسية ...

ومهما يكن فان العمل الادبي لا يشبه التقاط الصور الشمسية . فلا بد من بعد زمني يرى الكاتب من خلاله الاحداث بعد ان يكون قد عاشها وبلورها . ومن جهة اخرى : فان يلوح ما يهدد الكاتب في جمهوره، فذلك لا يشبه مثلا الوضع الذي تحدث عنه تولستوي عندما كان يرى نفسه معلقا في بؤر تهدده حية ، ومهما كان عمر الفرنسية المقبل في الجزائر فانه ولا شك سيكون اطول من الفترة الضرورية لتاليف كتاب جيد وقراءته ، ومن الفترة الكافية لتعلم العربية ... وامكان تجربة التاليف بها ...

على انه لو كانت العقدة في اللغة وحدها لكان هناك حل اكثر بساطة : الترجمة . ولا شك ان تعريب مثل هذا الانتاج الجزائري لا يؤدي الى فقدانه ما قد يحرص عليه في النص الاصلي : لظاهرة ربما لاحظها كل من قرأ هذا الانتاج في الفرنسية وحاول ترجمته ، وهذه الظاهرة تتمثل في بدو هذا الانتاج وكأنه اصلا منقول عن العربية فليست الترجمة غير ارجاع للاصل ، فهو كما اشرت يعبر غالبا عن طابع شعبي وبيئة جزائرية . (وهذه الملاحظة ان صحت تزد من تقليل اهمية تجريد هذا الادب من جنسيته الجزائرية وتدع الى اعادة النظر في الصلة بين اللغة والتفكير) .

واذا كانت هذه الظاهرة ، اعني تراجع انتاج هؤلاء الادباء بعد انتهاء الثورة المسلحة ، يعبر عن ازمة حقيقية ، فانه يكون عندئذ من التعليل الاكثر مباشرة ، فيما اعتقد ، ارجاع الازمة الى طبيعة المسار الذي سلكه هؤلاء الكتاب . ان رسالتهم لم تكن تمت ولكنهم قطعوا مرحلة هامة في ادائها ، ولكن قد بقيت له ايضا مرحلة اخرى لا تقل اهمية ، غير ان هذه المرحلة الباقية عليهم قد اديت ولم يكونوا هم الذين ادوها فتجاوزتهم . ذلك بان هذا الانتاج كان قد رسم لنفسه ثلاث مراحل تمثلت الاولى في الصراع مع التقاليد والحياة القديمة والانتهاء الى رفضها ، وفي المرحلة الثانية نجد هذا الرفض يتحول الى صراع اخر يتخذ موضوعه وصف « انعدام الوسائل المادية لتحقيق واعطاء الحرية دلالتها : « لذلك فان تجربة ابطال الروايات المغربية في هذه الفترة تتخذ طابعا شموليا لتلتقي مع التاريخ الانساني في عناصره المشتركة ، في حين ان روايات المرحلة الاولى انما تمثل تمردا داخليا(1)».

واما المرحلة الثالثة فقد كانت ، سواء بالنسبة الى التسلسل الديالكتيكي للمرحلتين السابقتين ، او بالنسبة الى البداية الاولية التي كان قد شرع فيها الكتاب ـ تفترض تقديم الحلول واتخاذ المواقف .

ولا شك ان الحل النهائي هو الذي قدمته الثورة المسلحة بتحقيقها للاستقلال ، وبالمثل فان الموقف العام هو الذي اعلنته من بعد، القيادة الوطنية ، في اعتناق الاشتراكية عقيدة وسلوكا . وبديهي ان هذه النتيجة والموقف لا يعنيان انتهاء الحاجة الى كل تعليق ومراجعة ، ولكن من الواضح كذلك ان كل محاولة من هذا النوع لن تكتسب مبررها الوطني الا انطلاقا من التسليم بهما ، اعني بالاعتراف سلفا بكل الوقائع والمبادىء الاساسية التي انتهت اليها الثورة المسلحة وتبنتها الثورة الاشتراكية : وحدة التراب الوطني وسيادته الكاملة والترابط الاخوي الفعال مع بقية الاقطار العربية الشقيقة والشعوب المكافحة والمتحررة في سائر انحاء العالم ، وايجاد الوسائل الفعالة لحسن استغلال الثروة البشرية والمادية وعدالة توزيعها . كل ذلك في اطار نزعة انسانية تؤمن بالمثل وبالتطور البشري ..

(1) انظر مجلة الاداب ديسمبر ١٩٦١ (حديث مترجم لمولود معمري)

مكتبة انطوان

فرع الامير بشير

اطلبوا منها الكتب الجديدة :

- الاعلام والدولة — حسن الحسن
- مذكرات الملك عبد الله — مصطفى الخرسا
- رصيد التاريخ (جزآن) — بشارة مريم

ولطلاب الفلسفة :

- مباحث في الفلسفة محللة
- الغزالي وابن رشد

وقد تكون ازمة الكتاب المحتملة اقل حدة لو انه كان من المناسب لهم تناول هذه المرحلة الثالثة على اساس الاصل ، ولكن كما اشرت كان هذا الاسلوب من نصيب المرحلتين السابقتين ، فاما هذه فهي تقتضي رسم الحلول واتخاذ المواقف . وذلك حتى بالنسبة الى التطور الداخلي لانتاجهم اذا اخذناه ككل او بالاحرى كوحدات متكاملة .

ويبدو ان ادبا يتخذ هذا المسار منطلقا له ، جدير ان يبده اذا وجد الواقع قد سبق ما كان يفكر في ان يتنبأ به ، واكثر : اذا كان هذا التنبؤ المنشود غير محرز لما يؤكد صدقه ، هذا فضلا عن انه كان من المحتمل جدا ان تسير تلك الحلول التي كانت بصدد الاعداد والتفكير في اتجاه غير الذي سلكته الثورتان المسلحة والاشتراكية ، وذلك بالاستناد الى بعض الارهاصات في الانتاج السابق لاكثر من كاتب من هؤلاء الكتاب .

***

كنت قد اوقفت المقال عند هذه النقطة مؤثرا ان استمع الى رأي اسيا جبار ، وعندما اقبلت في الموعد المعين كان ذلك اول ما سألتها عنه . وكان تفسيرها لظاهرة تضاؤل انتاج زملائها قريبا من التفسير السابق ، فهي ترى ان الظروف الانتقالية الجديدة التي تعيشها الجزائر تستدعي لدى الكاتب ، هو الاخر ظروفا مماثلة ، ولا سيما ان عددا منهم كان يعيش خارج الجزائر ، ومن عاد منهم فهو الان في مرحلة الاكتشاف واستعادة التكيف في حياته العامة ، وهو بصدد ايجاد وتمثل المادة الادبية المناسبة في حياته الفكرية وليست ثلاث سنوات بعد الاستقلال بالفترة الطويلة ، بل انها اقل من الكافية لتحقيق ذلك .

وتضيف الكاتبة : انه رغم ذلك فيجب الا نغرى بالتعميم ، فلكل كاتب ظروفه الخاصة التي قد تشجعه على مواصلة الانتاج او تعاكسه فيه وبالنسبة اليها شخصيا فانها منذ الان تتمثل المواضيع التالية كمادة صالحة للكتابة الجديدة : وعي آلام حرب التحرير لتعميق رؤية الحاضر واستشراف المستقبل ، بعث ومراجعة التاريخ الجزائري في فترة ما قبل الثورة ، العناية بالشعوب التي ما زالت تكافح الاستعمار في افريقيا وغيرها ...

قلت : هل يدخل ضمن هذا التصور ان يتجه الادب اتجاها ميتافيزيقيا كنتيجة بديلة عما كان يرسمه لما بعد مرحلتيه الاوليين . وضربت لها مثلا بانتاج نجيب محفوظ وتطورة .

ـ ذلك جائز ولكنه ليس حتميا . ومهما يكن فان الكاتب ـ ان لم يكن قد انتهى ـ واجد دائما ، خلال مرحلة تقصر او تطول ، ما يكتبه .

ـ البعض يرى في قضية التحول اللغوي صعوبة اخرى تواجه كتاب الجزائر بالفرنسية ، فهل تعتقدين ذلك ؟

ـ لست ارى في ذلك اية صعوبة جدية . ففي امكان الكاتب ان يؤلف باية لغة شاء ، وما عليه بعد ذلك سوى ان يبحث ان شاء ايضا عن مترجم الى اللغة التي يهمه جمهورها .

وعندما اريتها الفقرة من هذا المقال التي تحدثت فيها عن هذه الفكرة اضافت قائلة : انها رغم تسليمها بالعلاقة العضوية بين الكاتب وجمهوره فانها تعتقد ان الكاتب يدفع دفعا الى الكتابة قبل ان يكون قد رسم مسبقا جمهوره .

ـ لست اذهب معك الى هذا الحد فالكاتب الجدي لا بد ان يسأل نفسه مسبقا : لمن يكتب وان جوابه على ذلك سيتحكم في طبيعة وطريقة ما يكتب .

واضفت : اذا كنت انت مثلا تنوين الاستمرار في الكتابة وخاصة لقراء جزائريين او ممن تهمهم الجزائر قبل غيرهم وهم سائر الشعوب العربية ـ فهل ستواصلين انتاجك بالفرنسية ؟

ولشد ما اندهشت عندما اجابتني بانها قد بدأت بالفعل تؤلف بالعربية ، واعترتني في نفس الوقت خشية من ان يظن القارىء اني قد اعددت جزءا من هذا المقال بعد ان التقيت بالكاتبة وليس قبل ذلك . ولكن الدهشة المحببة التي ظلت تستولي علي انما كانت هذه الواقعة نفسها : ان تكتب اسيا جبار بالعربية وهي التي لم تكن تعرف منها شيئا عندما حصلت لي معها في سنة ٦٢ اخر مقابلة .

ـ يبدو انك قد تعجلت قليلا قبل ان تعطيني الفرصة لتحديد نوعية العربية التي بدأت اكتب بها ، فهي بطبيعة الحال ليست العربية الفصحى بقواعدها واسلوبها ، ولكني ساظل اتعلمها واتقدم فيها . وهذا على كل خير من ان اسجن نفسي في الفرنسية او احاول الانقطاع عن الكتابة ـ وكنت قد ذكرت لها رأي مالك حداد الآنف ـ واني اعتقد ان على جميع كتابنا غير المتقدمي السن ان يحاولوا مثل ما حاولته . ولكن يجب ان اضيف ان هذا الموقف مني لا يعني اني ساكف عن التاليف بالفرنسية ، اللهم الا اذا كنت قد وصلت في تعلم العربية الى مستوى يغنيني تماما عن الفرنسية . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فليس العامل الادبي هو وحده الذي دفعني الى المحاولة وانما هناك ما لا يقل عن ذلك اهمية وهو العامل القومي .

وقد بدأت هذه المحاولة بمجموعة شعرية اسميتها : (كلام للجزائر السعيدة) وستصدر في وقت واحد بالعربية وبالفرنسية .

ـ هل كنت اذن تترجمين قصائدك العربية عن الفرنسية ؟

ـ ليس دائما . واحيانا كثيرة حصل العكس . لكن نظرا الى ضعف اداتي العربية وامكانياتي في الشعر العربي فقد اخترت للمجموعة عنوان « كلام » في حين انها في الفرنسية بعنوان « قصائد » . اني بالفرنسية «راشدة» ولكني بالعربية طفلة ، وكلام تقوله هذه مدعاة لتسامح اكبر .

قلت وقد انتهت المحادثة : ان اهل العربية يتسامحون فعلا مع الشعر ولعلهم معك سيتسامحون اكثر .

***

وبعد فقد كرست هذه الكلمة للادب الجزائري المكتوب بالفرنسية وفي كلمة قادمة ساحاول ان القي نظرة على القسم الاخر المكتوب بالعربية ..

مدينة الجزائر — الجنيدي خليفه

هذا الشهر يصدر

ديوان

اللهب الثائر

مجموعة قصائد قومية ، وانسانية ، وغزلية

شعر بشير قبطي